

أثار بعض الطاعنين شبهةً حول حديث: «ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ للبَّ الرجلِ الحازمِ من إحداكن»^(١)، وزعموا أنَّ هذا الحديث فيه استخفافٌ بالمرأة وإهانةٌ لها^(٢).

الرَّدُّ على هذه الشُّبهة من وجوه:

١. أنَّ منشأ هذه الشبهة الغلطُ في فهم المُراد بنقصانِ العقل؛ حيث ظنَّ صاحبُها أنَّ المراد بالعقل في الحديث: القوة التي يُميَّز بها بين حقائق المعلومات، والواقع أنَّ هذا ليس هو المُراد بالعقل في الحديث؛ فقد تولَّى النبي ﷺ بيانَ المراد في الحديث نفسه؛ فعندما سأله النساءُ: وما نقصانُ ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصفِ شهادة الرجل؟»، قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصانِ عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تُصم؟»، قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصانِ دينها».

فبيَّن ﷺ أنَّ نقصانَ العقل أمرٌ راجعٌ إلى الشهادة والضبط، فالنساءُ مَظِنَّةٌ تغلبُ العاطفة على العقل، ويبيِّن أنَّ نقصانَ الدين راجعٌ إلى قلةِ العبادة في زمن الحيض والتَّفاس.

ووصف النساءُ بنقصانِ العقل على هذا المعنى إنما هو باعتبار الغالب، ولا يلزم وجوده في كلِّ امرأةٍ بعينها، ولا يقدح هذا في معنى الحديث؛ لأنَّ النادر لا حكمَ له، كما هو معلوم.

٢. أنَّ هذا النقص أمرٌ قدرِيٌّ لا تَوَاحُذُ المرأةُ عليه^(٣)، فليس في هذا الحديث استخفافٌ أو استهزاءٌ بالمرأة، بل فيه اعتذارٌ لها ببيان ما قدَّره الله عليها، وبما ركبَه في طبيعتها.

٣. أنَّ هذا النقص ليس عيباً في النساء، بل كمالٌ في جنسهنَّ، والله جلَّ وعلا أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى؛ فخلق المرأة وركَّبها بما يناسب وظيفتها وما خلقت لأجله، وخلق الرجل كذلك، ولا يلزم من كون الوصف كمالاً في حقِّ الرجل أن يكون كذلك في حقِّ المرأة، والعكس صحيح، فلو كان النساءُ كالرجال في صلابَةِ عقولهم ونقصِ عاطفتهم مقارنةً بهنَّ؛ لكان ذلك عيباً في أنوثتهنَّ، واختلَّ نظام الحياة.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين (٣/ ١٦١٣-١٦١٧).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٦٧-٦٨).